التجربة السوريّة في ميدان الترجمة

فايز سارة

عندما يجري الحديث عن أهمّية الترجمة إلى العربيّة، فإنّ الحديث عن التجربة السوريّة يكتسب أهمّيّة خاصّة، بسبب تميّز تلك التجربة في تعدّديّة المؤسّسات الّتي ساهمت فيها وتنوّعها وفي حجم المادّة المترجمة ونوعيّتها وتعدّد موضوعاتها.

غير أنّ الأهمّ في التجربة السوريّة كان وسيبقى، تلك البنية الأساسيّة الّتي نظّمت وقادت عمليّة الترجمة إلى العربيّة، ونعني بها هيئات ومؤسّسات ودور نشر كثيرة شكّلت القاعدة التحتيّة لهذا النّشاط من عمليّة التنمية الثّقافيّة الّتي لولاها لكان من شبه المستحيل الحديث عن تجربة سوريّة مهمّة في ميدان الترجمة من اللّغات المختلفة إلى العربيّة.

مؤسّسات ودور نشر

تتعدّد المؤسّسات والهيئات السوريّة العاملة في ميدان الترجمة سواء في موضوع تابعيّتها (قطاع دولة، قطاع خاصّ) أو في تنوّع اهتماماتها. وإذا اعتمدنا التعدّد بمعناه الأوّل، فإنّ لدينا مجموعة من المؤسّسات والهيئات الحكوميّة العاملة في ميدان النّشر والترجمة، أو في ميدان الترجمة حصراً، وهي تتوزّع على الكثير من الوزارات، ومنها وزارة الثّقافة، ثمّ وزارة التّعليم العالي ووزارة الدّفاع إلى جانب وزارة الصحّة وغيرها من الجهات العامّة والعاملة في هذا المضمار وتهتمّ بموضوع الترجمة كجزء من نشاطها أو اهتماماتها حسب التخصّصات. وفي ذلك يمكن ملاحظة نشاطات مديريّة التّأليف والنّشر والترجمة التّابعة لوزارة الثّقافة، وهي الأبرز في هذا المجال، رغم وجود مؤسّسات أخرى تعمل في الإطار عينه ومنها مركز الدراسات العسكريّة، ومؤسّسة الأرض للدراسات الفلسطينيّة.

أمّا في القطاع الخاصّ، فالأمر يبدو أكثر تعقيداً وتشعّباً. وبصورة مبسّطة، فإنّ عدد دور النّشر السوريّة القائمة حاليّاً، يصل إلى ثمانين داراً. وجميع هذه الدّور تصدر أو بإمكانها إصدار كتب مترجمة، وكثير من دور النّشر السوريّة التي كانت أصدرت كتباً مترجمة أغلقت أبوابها، أو أوقفت أعمالها. ولكنّ الصّورة الإجماليّة لنشاط القطاع الخاصّ في ميدان الترجمة والنّشر في سوريا، هي صورة إيجابيّة، فقد ساهمت دور النّشر السوريّة الخاصّة بجهد واضح في تجربة الترجمة السوريّة، وقدّمت بعضها شيئاً مميّزاً في هذا الميدان من الناحية النوعيّة والكميّة على مدار العقود الثّلاثة الماضية.

وثمّة جانب في التجربة السوريّة في ميدان الترجمة لابدَّ من ذكره ولو بصورة عارضة، وهو مساهمة اتّحاد الكتّاب العرب، الممثّلة في إصدار مجلّة «الآداب الأجنبيّة» وهي مجلّة فصليّة مديرها المسؤول رئيس اتّحاد الكتّاب العرب علي عقلة عرسان، يرئس تحريرها عدنان بغجاتي، صدر عددها الأوّل في العام ١٩٧٤، وهي تعنى بنشر الموضوعات المترجمة وبخاصّة في موضوعات الأدب، وقد صدر منها حتّى نهاية عام ١٩٩١ ما مجموعه ٦٩ عدداً، وهي الوحيدة من هذا النّوع في الإطار العربي، وإن كانت هناك تجربة مقاربة قائمة في الكويت (قبل الاجتياح العراقي) وقد توقّفت وهي مجلّة «الثقافة العالميّة» الّتي تصدرها وزارة الإعلام الكويتيّة.

نماذج وأمثلة

وإذا كانت التجربة السوريّة في ميدان الترجمة إلى العربيّة على هذا التنوّع والغنى، فإنّ حصر هذه التجارب بكلّ تفاصيلها وتعقيداتها يبدو أمراً غير ميسّر لعملنا هذا، وعليه يمكن تناول بعض من ملامح هذه التّجربة من خلال تقديم مجموعة تجارب في الترجمة السوريّة إلى العربيّة وهي:

*** تجربة وزارة الثّقافة**

اهتمّت وزارة الثّقافة السوريّة بموضوع الترجمة إلى العربيّة من

اللّغات المختلفة، وتمثّل هذا الاهتمام بإحداث مديريّة التأليف والترجمة، وعملت المديريّة وسط ظروفها وإمكانيّاتها المتاحة على إحداث تقدّم ـ ولو جزئي ـ على هذا الصّعيد، فتمّ خلال الأعوام العشرة الأولى من نشاطها ١٩٦٠ ـ ١٩٦٩ ترجمة سبعة وأربعين كتاباً وطبعها وتوزيعها، ثمّ وسّعت الوزارة من اهتماماتها في ميدان الترجمة تالياً، فتمّ طبع مئتيْن وواحدٍ وعشرين كتاباً وترجمتها وتوزيعها في السنوات ١٩٧٠ ـ ١٩٧٩ بمعدل سنوي يزيد عن ٢٢ كتاباً، وارتفع العدد من الكتب المترجمة الّتي أصدرتها الوزارة في سنوات ١٩٨٠ ـ ١٩٨٩ إلى ٤٣٨ كتاباً بما يعني مضاعفة معدل الإصدارات السنويّة المترجمة مقارنة بسنوات السبعينات.

وقامت الوزارة في عامي ١٩٩٠ ـ ١٩٩١ ـ بالرّغم من الظروف الخاصّة المتعلّقة بصعوبات فنيّة واقتصاديّة ـ بترجمة ٥١ كتاباً وإصدارها، وإذا استمرّ المعدّل على هذا الأساس فسيكون من ناتج عمل الوزارة ترجمة نحو ٢٥٠ كتاباً في أواخر التسعينات وهو رقم متواضع، ولا يعكس طموحات الوزارة في هذا المجال. ويؤكّد متابعون لحركة الترجمة ونشاطات مديريّة التأليف والترجمة، أنّ الرّقم ربّما وصل إلى الضّعف بعد أن حُلّت الصّعوبات الفنيّة والاقتصاديّة الّتي كانت موجودة في عقد التسعينات، الأمر الذي سينشط أعمال الوزارة في ميدان الترجمة.

ولا يشكّل الكم العدديّ في تجربة وزارة الثّقافة السوريّة في ميدان الترجمة سوى جانب واحد من أهمّيّة التجربة. وهناك جانب آخر هو نوعيّة الكتب المترجمة والموزّعة ما بين مختلف العلوم والمعارف التطبيقيّة والاجتماعيّة بالإضافة إلى النّصوص الإبداعيّة والدراسات الأصيلة في مختلف الميادين، ولكن الغالبيّة ظلّت واضحة للأدب والايديولوجيا والسّياسة.

وثمّة جانب آخر هو تنوّع اللّغات المترجم عنها، وهي لغات حيّة على نحوٍ عام، تأتي المترجمات عن الفرنسيّة في مقدّمتها، ثمّ تليها الإنجليزيّة، ثمّ تتوالى تباعاً المترجمات عن اللّغات الروسيّة والإسبانيّة والبلغاريّة والإيطاليّة والتركيّة. وبذلك تغطّي الترجمات أكبر مساحة من انتشار اللّغات الحيّة في العالم المعاصر، ويمثّل الإنتاج المترجم في إصدارات الوزارة من الكتب نحو ثلث المطبوعات وهي نسبة مهمّة.

وتستعين الوزارة في إنجاز برنامج الترجمة بعدد كبير من المترجمين وغالبيتهم من السوريين. وخلال فترة عمل الوزارة في ميدان الترجمة زاد عدد المتعاملين مع المديريّة من المترجمين على مئتي مترجم، ولدى الوزارة قائمة بـ ١٣٥ مترجماً أساسيّاً يعتمد عليهم وبينهم أكثر من عشرين مترجمة. ومن بين الّذين عملوا في برنامج ترجمات وزارة الثقافة سبعة زاد عدد مترجماتهم على عشرة كتب؛ وأمّا الّذين ترجموا ما بين كتابين وتسعة كتب فقد زاد عددهم على مائة مترجم؛ وبلغ عدد الّذين ترجموا كتاباً واحداً من ترجمات الوزارة أكثر من مائة وخمسين مترجماً. وهناك جانب هام من تجربة الترجمة في وزارة الثّقافة السوريّة، وهو مشاركة عدد من المترجمين (اثنين أو أكثر) في ترجمة عمل واحد، وهناك أكثر من خمسة وعشرين عملاً مترجماً أصدرتها الوزارة في هذا السّياق، وهناك عدد كبير من الإصدارات المترجمة الّتي تمّ إخضاعها إلى مراجعة من جانب اختصاصيين اختارتهم الوزارة.

إنّ التقدير الإجمالي لتجربة وزارة الثّقافة السوريّة في ميدان الترجمة يمكن تلمّسه في حقيقة صدور أكثر من ٧٥٠ كتاباً في العقود الثّلاثة الماضية، وعلى افتراض أنّ متوسّط طبع الكتاب المترجم في الوزارة هو ٣٥٠٠ نسخة (للطبعة الواحدة) فإنّ عدد نسخ الكتب المترجمة الصّادرة عن وزارة الثّقافة يزيد عن مليوني ونصف مليون كتاب، ويشكّل ذلك رقماً مهمّاً في السّاحة الثّقافيّة والمعرفيّة في سوريا، الّتي تعتبر السّوق الأساسيّة للكتب الصّادرة عن وزارة الثّقافة السّوريّة.

وطبقاً لقوائم الترجمة في وزارة الثّقافة السّوريّة، فإنّ من أهمّ المترجمين (على صعيد الإنتاج الكمّي) هم السّادة صلاح الدّين برمد أو صياح الجهيم، ووجيه أسعد، وأنطون حمصي، ثمّ يوسف حلاّق. وبالتّأكيد فإنّ هناك أسماء هامّة في قائمة الّذين ترجموا لوزارة الثّقافة من النّاحية النوعيّة، ومن بين هؤلاء الرّاحل سامي الدروبي، وأدونيس، وسعد الله ونّوس وغيرهم.

* تجربة دور النّشر الخاصّة

إنّ الملامح العامّة لتجربة دور النّشر الخاصّة في سوريا وأنشطتها في ميدان النّشر يمكن ملاحظتها من استذكار أنشطة من طراز نشاطات «دار اليقظة العربيّة للتأليف والنّشر والترجمة» الّتي قدّمت قبل عقود أمّهات الكتب العالميّة إلى قرّاء العربيّة. وقد فعلت دار دمشق للطباعة والنّشر والتوزيع شيئاً مماثلاً خلال ما يقرب من عقود أربعة انقضت على تأسيسها (١٩٥٤ ـ ١٩٩١) وأصدرت الدّار خلال مشوارها الطّويل عشرات الكتب المترجمة في مختلف المعارف، وأبرزها كتب تخصّصت في الفلسفة والأفكار، ومنها الفلسفة والأفكار الماركسيّة بل مدارسها من الماركسيّة السوفياتيّة إلى قرينتها الصّينيّة، ومن الغيفاريّة (غيفارا، كاسترو) إلى الكوريّة الشماليّة والفيتناميّة، وهي في هذا المجال تقترب من الترجمات السياسيّة والايديولوجيّة لوزارة الثّقافة. كما نشرت الدّار ترجمات إيديولوجيّة وسياسيّة تتعلّق بالصهيونيّة والسّياسة الأمريكيّة خصوصاً إزاء «العالم الثّالث»،

وترجمت سلسلة من الأدب الصّيني، وربّما كان ذلك جزءاً من تفرّد نشاطات الترجمة إلى العربيّة بالنّسبة لدار دمشق، الّتي تعاونت مع عدد من المترجمين أبرزهم المترجم الرّاحل سهيل أيّوب وأخوه فؤاد اللّذان ترجما الكثير من إصدارات دار دمشق.

وزيادة في توضيح دور القطاع الخاصّ في تجربة الترجمة إلى العربيّة في سوريا نعرض شيئاً من تجربة «دار طلاس» الّتي تعتبر ـ رغم حداثة تأسيسها ـ واحدة من أهمّ دور النّشر السوريّة، ثمّ نعرض شيئاً من تجربة «دار الأهالي»، وهي مؤسّسة لا يتعدّى عمرها السّنوات الأربع إلاّ قليلاً.

يمتدّ عمر «دار طلاس للدراسات والترجمة» إلى العام ١٩٨٢. وخلال الفترة الممتدّة حتّى نهاية عام ١٩٩١، أصدرت الدّار باللّغة العربيّة أكثر من ستمائة كتاب، ثلثها من الكتب المترجمة، وبصورة أساسيّة كانت الكتب المترجمة تتّصل بالفكر السياسي والعسكريّ والموضوعات الاستراتيجيّة والتّاريخ العالمي والإعلام والشخصيّات الهامّة ومذكّراتها وقضايا الصّراع العربي ـ الاسرائيلي، والشّعر والرّواية العالميين إلى جانب الكتب العلميّة في ميدان الطّب والصّحة والكيمياء.

وتعاونت الدّار في إصدار كتبها المترجمة مع عدد كبير من المترجمين السوريين يتجاوز مائة وثلاثين مترجماً. لكن عدداً كبيراً من ترجماتها كان إعادة طبع لنصّ مترجم صدر في مكان آخر سواء في بيروت أو القاهرة، وهذه ملاحظة خاصّة بدار طلاس في تجربة الترجمة إلى العربيّة في سوريا. وثمّة تقاطعات في أكثر من ميدان بين تجربة وزارة الثّقافة السوريّة و«دار طلاس» في مجال الترجمة؛ إذ إنّه عدا تنوّع الموضوعات، فإنّ عدداً من الّذين تعاملوا مع الوزارة في مجال الترجمة تعاونوا مع «دار طلاس»؛ ومن بين هؤلاء حافظ الجمالي وأدهم السّمّان، ولكن الاسم الأهمّ بين المترجمين لدار طلاس هو سميح السيّد الّذي قدّم مجموعة ترجمات استراتيجيّة ولاسيّما في الميدان العسكريّ.

وتعكس تجربة «دار الأهالي للطّباعة والنّشر والتوزيع» في دمشق نموذجا سوريّاً آخر في ميدان الترجمة إلى العربيّة، وقد بلغت الكتب المترجمة في إطار إصدارات الدّار نحو الثّلث على مدار عمر الدّار وهو أربعة أعوام ونيّف، وكان المعدّل الوسطي للإصدارات المترجمة خمسة إصدارات سنويّة، أمّا مجالها الأهمّ فكان الأدب الرّوائي إلى جانب عدد أقلّ من الكتب العلميّة والسياسيّة. والأهمّ من بين الأسماء في ترجمات دار الأهالي صالح علماني وله نحو ربع مترجمات الدّار.

إنّ الخلاصة في الترجمة إلى العربيّة في سوريا، تشير إلى أهمّيّة تلك التّجربة مقارنة بمثيلاتها العربيّة. وإذا كانت تجربة مصر ولبنان تشكّل تمايزاً كميّاً في حجم المترجمات، فإنّ التّجربة السوريّة تسجّل تمايزاً نوعيّاً من حيث الموضوعات ومستويات الترجمة الّتي قدّمتها النّخبة من المترجمين السوريّين الّذين صدرت ترجمات لهم في الكثير من العواصم العربيّة وبرزت ترجماتهم كأحسن ما يكون وأقرب ما يمكن إلى النّصوص الأصليّة وروحيّة الكتب الّتي ترجموها.

دمشق

ملحق رقم (١)

(١)

مشروع وزارة الثّقافة

١٩٦٠ ـ ١٩٩١

المترجمون الّذين اشتغلوا بترجمات الوزارة (اللّغة / الجنس)(*)

عن الفرنسيّة	٦٠	مترجماً بينهم ٨ مترجمات
عن الإنكليزيّة	٤٢	مترجماً بينهم ٩ مترجمات
عن الروسيّة	١٨	مترجماً ـ
عن الألمانيّة	٨	مترجمين بينهم مترجمة واحدة
عن الإسبانيّة	٣	مترجمين ـ
عن البلغاريّة	٢	مترجمان ـ
عن التركيّة	١	مترجم ـ
عن الإيطاليّة	١	مترجم ـ
المجموع	١٣٥	مترجماً بينهم ١٨ مترجمة

(٢)

ترجمات الوزارة حسب السنوات

١٩٦٠ ـ ١٩٩١

١٩٦٠ ـ ١٩٦٩	٤٧	عملاً(**)
١٩٧٠ ـ ١٩٧٩	٢٢١	عملاً
١٩٨٠ ـ ١٩٨٩	٤٣٨	عملاً
١٩٩٠ ـ ١٩٩١	٥٠١	عملاً
المجموع	٧٥٧	عملاً

(*) استناداً إلى قائمة تضمّ أسماء أبرز المتعاونين مع الوزارة في ميدان الترجمة.

(**) اعتبرنا كلّ مجلّد بما في ذلك الأجزاء عملاً مستقلاً بغضّ النّظر عمّا يضمّه من نتاج.

ملحق رقم (٢)

(١)
نشاطات دار طلاس في ميدان النشر والترجمة
١٩٨٢ - ١٩٩١

عدد الكتب الصادرة	٦١١	(١٠٠٪)
عدد الكتب المترجمة	٢١١	(٣٤،٥٪)
معدّل الإصدار السنويّ للترجمة	٢	

(٢)
نشاطات دار دمشق في ميدان النشر والترجمة
١٩٥٤ - ١٩٩١

عدد الكتب الصادرة	٣٦٠	(١٠٠٪)
عدد الكتب المترجمة	٦٤	(١٧،٧٪)
معدّل الإصدار السنويّ للترجمة	٢	

(٣)
نشاطات دار الأهالي في ميدان النّشر والترجمة
١٩٨٧ - ١٩٩١

عدد الكتب الصادرة	٩٢	(١٠٠٪)
عدد الكتب المترجمة	٢١	(٢٢،٨٪)
معدّل الإصدار السنوي للترجمة	٥